محاضرات في مقياس الإبستمولوجيا :

سنة الثانية علم النفس العيادي

من إعداد الأستاذة : عطا الله أمينة

المحاضرة الرابعة :

1 - الابستمولوجيا و العموم الإنسانية و اجتماعية:

إن دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية دراسة ابستمولوجية، يعني اكتشاف المعرفة والتنقيب عنها و تنميتها، و فحصها و تحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق ثم عرضها بذكاء و إدراك ، ولعل هذا دور الإبستيمولوجيا كما عرفه لنا **غاستون باشلار** كنشاط معرفي في العصر الحديث ، فلم يمض تاريخ" العلوم " الإنسانية والاجتماعية على النحو الذي مضت عليه خطوات تاريخ العلوم الطبيعية، نتيجة اعتمادها على التجريب كمصدر لليقين، هذا ما أدى إلى سعي مختلف العلوم الأخرى إلى محاولة تجسيد الدراسات العلمية على مختلف العلوم ظواهريا، ومن بين

هذه العلوم نجد العموم الإنسانية و توصلت الدراسات إلى أن أنه من المفيد أن ننظر إلى العوم الإنسانية والاجتماعية، على أن لها أهمية بالغة ومكانة هامة بين العموم الأخرى لاسيما أنها تساعدنا على أن نرى العلم في سياق أوضاع الحاضر و مشكلاته، وفي ضوء المستقبل الممكن تحققه كذلك .ويمكن أن تؤدي دورها الفعال في بناء المعرفة الإنسانية، و بهذا فهي قادرة وجديرة بأن تنهض بدورها وبصفتها علم من العلوم .

لا أحد ينكر أن هناك اختلاف في البحث العممي في العموم التجريبية عنو في العموم الإنسانية والاجتماعية، فالعموم الإنسانية، مثل عمم النفس وعمم الاجتماع، انفصمت منذ بداية

القرن التاسع عشر عن الفمسفة، وحاولت د ا رسة الظوابر الإنسانية بمنابج العموم التجريبية التي تدرس الظوابر الطبيعية ، غير أن اختلاف موضوع العموم الطبيعية عن موضوع العموم الإنسانية انجر عنو صعوبات وع ا رقيل تواجو الباحث العممي في مجال العموم الإنسانية والاجتماعية و منيا:

- **2عوائق تطبيق المنهج التجريبي** : في مجال العموم الإنسانية وضع العممماء والمفكرون شروط أساسية لإمكان قيام أي عمم ومن أىم ىذه الشروط مشاىدة الوقائع مشاىدة نؤمن فييا من الزلل، وىذه الشروط تحققت في العموم الطبيعية أما العموم الإنسانية فيناك فرق بينيما يكمن في درجة التقدم والتأخر.

فالعموم الطبيعية، ىي تمك العموم التي تيتم بد ا رسة الظوابر الطبيعية، ومن ىذه العموم نجد:

الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والفمك، كما تتضمن العموم البيولوجية كالحيوان والنبات البيولوجي، أما العموم الإنسانية و الاجتماعية فيي تمك العموم أو فروع المعرفة التي تتجو نحو د ا رسة أصل وتاريخ الإنسان، إذ تيتم العموم الطبيعية بصفة مباشرة بالظوابر والأحداث

الطبيعية، بينما تيتم العموم الإنسانية و الاجتماعية بد ا رسة أنشطة ومنج ا زت الإنسان، العمم لا

يكون عمما إلا بالمنيج الذي يستخدمو، فالعمم منيج قبل أن يكون موضوعا أو مجموعة معارف أو نظريات .لأننا لا نستطيع أن نتوصل إلى المعارف العممية بدون استخدام منيج عممي، وبصفة عامة يمكن القول بأن د ا رسة السموك الإنساني تتم بعدة طرق أو منابج تستخدم.

جاء عمم النفس العيادي ليثب انو حتى لو لم نتمكن من مشاىدة الظابرة النفسية لكننا نستطيع ان نستدل عمى وجودىا من خلال الأثر الذي تحدثو ومنيا نستطيع د ا رستيا و تحميميا ، لكن ىذه الد ا رسة اعترضتيا بعض الصعوبات.

تتمخص صعوبات الباحث العممي في ميدان عمم النفس في جممة من العوائق والمشاكل نذكر منيا:

- 1**عوائق الظاهرة النفسية :** حينما نحاول د ا رسة الظابرة النفسية د ا رسة عممية تواجينا

عدة عقبات منيا إنيا حادثة معنوية تتناول موضوعا لا يعرف الثبات والسكون، و لا يستقر في مكان محدد مثمما يلاحظ في ظواىر الطبيعة، فأين يستقر الشعور!؟ وما محل الانتباه!؟ وأين نجد الإ ا ردة!؟ وما حجم الخيال!؟ كميا أسئمة لا نجد ليا جوابا دقيقا، ومعظم ما يحدث عمى مستوى النفس لا ينقطع عن الحركة والديمومة، ومن ىنا يصعب عمينا ملاحظتيا بدقة، واذا تعذرت الملاحظة أجيض المنيج التجريبي برمتو .ي حاثة كيفية قابمة لموصف، وغير

قابمة لمتقدير الكمي، وبذا يعيق الوصول إلى نتائج دقيقة ومضبوطة، إذ لا يمكن مثال قياس

نوايانا وعواطفنا ورغباتنا وانفعالاتنا واد ا ركاتنا قياسا رياضيا دقيقا، بي ظابرة ذاتية لا يدركيا سوى صاحبيا، فما يحدث عمى مستوى نفسي أنا لا يمكن أن يحدث بالضرورة في نفس شخص آخر، فذكرياتي ورغباتي واتماماتي وحياتي النفسية برمتيا تختمف عن نفسيات الآخرين ، وبذا يجعل الد ا رسة العممية صعبة جدا، إذ لا نجد أنفسنا أمام ظابرة نفسية واحدة

قابمة لمتعميم كما بو الشأن في الظابرة الفيزيائية، إذ يكفي أن أدخل عينة إلى المختبر وحين نجاح تجربتي أقوم بالتعميم، لكن بذا مستحيل حين ندرس النفس، وأحيانا حتى الذات لا تفيم ذاتيا، ويستعص ي عمينا إد ا ركيا، ونجد بذا في حالات اللاشعور

– 2**عائق المغة :** قد يصاب الإنسان بأم ا رض نفسية عنيفة جدا تعكر صفو حياتو، وقد تؤدي بو أحيانا إلى الانتحار كمرض الكآبة ا لمسؤول عن كثير من حالات الانتحار في العالم، بذا المريض في حاجة إلى طبيب نفسي يشخص الداء قصد تقديم العلاج، واذا كانت الظابرة النفسية غير قابمة لممملاحظة يمجأ الطبيب إلى سؤال مريضو قصد معرفة خبايا نفسو، وبنا يواجو الطبيب مشكمة المغة، إذ يعجز المريض في كثير من الأحيان عن وصف ما يجري في النفس بالشكل الدقيق والصحيح، فقد تضيق بنا الأرض بما رحبت ونعيش ضغطا نفسيا رىيبا وحينما يسألنا الطبيب قد يكون جوابنا أشعر بالحزن، أو أنا كئيب، وبذا

التعبير قاصر في وصف حالاتنا، إذ تخوننا العبا ا رت في التعبير عما نعيشو من حالات نفسية، إنيا حادثة متداخمة فالظابرة النفسية ليست مستقمة بذاتيا، إذ قد ترتبط مع الجانب الفيزيولوجي، إذ نجد تداخل بين الإحساس كظابرة فيزيولوجية و الإد ا رك كظابرة نفسية وعقمية ، والقمق والكآبة كمرض نفسي قد يكون لو سبب بيولوجي عضوي كاختلال ما في إف ا ر ا زت الدماغ، أو قد يكون لو عالقة بمعطيات المجتمع الذي يحيا فيو، و بالتالي نجد أن

التداخل والاختلاط والتشابك بين ما بو نفسي و فيزيولوجي و اجتماعي يعيق الباحث في محاولة وصولو إلى الدقة في د ا رستو لمنفس.